وقائع ندوة التعارف والحوار الثانية -٣ -

العمل السياسي في أوروبا . . ما المسموح به ؟ وما الممنوع ؟

ونتابع في هذا العدد عرضنا المركَّز لوقائع « ندوة التعارف والحوار الثانية » التي دعا إليها المركـــز الإســـلامي في آخن - مسجد بلال في ٢٤ - ٢٦ محرم ١٤٢١ هـــ الموافق لـــ ٢٨-٣٠ نيسان/أبريل ٢٠٠٠م ، ونتناول في هـــذا العدد الموضوع الثاني الذي يشغل اهتمام التيار الإسلامي وعامة المسلمين في الغرب ، وهو :

العمل السياسي في أوروبا . . ما المسموح به ؟ وما الممنوع ؟

»تناول الشيخ محمد العبدة - من بريطانيا في المحور الأول :

ما المقصود بالعمل السياسي عرفاً وشرعاً ؟

فنقل تعريف صاحب لسان العرب للسياسة : « والسَّوس : الرياسة ، وساس الأمر : قام به ، وفي الحديث (كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم) أي تتولى أمورهم كما يفعل الأُمراء بالرعية ، والسياسة : القيام على الـــشيء بمـــا يصلحه » . ثم نقل تعريف التهانوي في '' كشاف اصطلاحات الفنون '' للـــسياسة : « هـــي استـــصلاح الخلـــق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة ، أو : القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأحوال » . واستحسن تعريف ابن عقيل - شيخ الحنابلة في عصره - للسياسة : « ما كان فعلاً يكون الخلـــق معـــه أقـــرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولم يترل به وحي » ومقصوده أنه قد يجتهد بسياسة لم ينطق بها الشرع ، ولكن لا بد أن توافق ما جاء به الشرع ، مثل فعل عثمان ﷺ في جمع الناس على مصحف واحد ، وإنشاء الدواوين زمن عمر . ﷺ

ثم قال الشيخ محمد العبدة : في العصور الإسلامية اقترنت السياسة بالشرع لا تنفك عنـــه ، بـــل الـــشرع هـــو

السياسة ، وقد ارتاع العلماء لصدور ما سماه الحكام " سياسة " غير مرتبطة بالشرع .. وقد أنكـــر هـــذا الإمـــام الطرطوشي وابن العربي وغيرهما . قال السخاوي : « ومن أعظم خطأ السلاطين تسمية أفعالهم الخارجة عن الـــشرع " سياسة " فإن الشرع هو السياسة لا عمل السلطان برأيه وهواه » .

وأضاف الشيخ محمد : وقد توسع مفهوم السياسة والعمل السياسي في العـــصور الحديثـــة ، وكثـــرت فروعـــه وأقسامه ، مثل : السياسة الاقتصادية ، السياسة الاجتماعية ، السياسة الدولية . وأصبح علماً يـــدرَّس في الجامعـــات وتؤلف فيه آلاف الكتب . وقالوا في تعريفه : فن علاقات الحكم ، أو الطريقة التي يسلكها الحاكمون ، أو التـــدبير الحكيم والنظر الحصيف في عواقب الأمور ، أو كل عمل يقصد به دعم أو التأثير على الحكومة وسياساتها ، بل كـــل علاقة بين التجمعات داخل المجتمع أو الأمة ، إذا كان لمصلحة الجميع ، أو ما يسمى بالشأن العام . وقال بعد ذلك : هذا من الناحية النظرية ، ولكن الأمور العملية لا تسير كما يشتهي أهل التنظير ، فالسياسة عند كثير ممن يشتغل بهـــا هي كما رسم لهم " ميكافيلي " : « الغاية تبرر الوسيلة » .. فأصبحت كلمة السياسة مرادفة للـــدجل والكـــذب والتهريج ، وهذه التي يسميها مالك بن نبي " بوليتيكا " تفريقاً لها عن السياسة المبنية على أصول علمية نظرية .

وخلص الشيخ العبدة إلى القول :

« من التعريفات السابقة نستنتج أن العمل السياسي هو الذي يحقق مصلحة حقيقية للمسلمين ، أو يدفع عنـــهم مفسدة مؤكدة .. فإن من مقاصد الشريعة : مقاومة الفساد والمفسدين ، ورعاية مصالح العباد وحفظها على أكمـــل وجه .. وهذا العمل يكون في الشأن العام ، مما له صلة أو احتكاك بالنظم القائمة ، أو الأحزاب الموجودة ، وعندئـــذ فكل اجتهاد في هذا المجال يجب أن تحكمه قاعدة المصالح والمفاسد ، وهذه أمور دقيقة تحتاج إلى حـــسابات ومعرفـــة بدقائق الفقه ، وهي مزلة قدم إذا لم تراعَ فيها الشروط المناسبة. «

ﷺ ﷺ ﷺ

وتحدث الشيخ أحمد أبو لبن – الدانمارك في محور :

كيف تعامل النبي ﷺ في العهد المكي مع مؤسسات المجتمع والأعراف ؟

فأشار إلى مكانة مكة المكرمة أول بيت وضع للناس ،وأثر هذا البيت في جزيرة العرب ، وامتنان الله تعالى علـــى أهله بـــ " الأمن من الخوف " ، واستطرد في بيان حاجة الناس إلى الأمن ، حتى ظهر هذا في مؤسسات حكوميـــة وعالمية " مجلس الأمن القومي ، مجلس الأمن ، المنظمة الأوروبية للأمن والتعاون " ، وأن المـــسلمين في أوروبـــا في حاجة إلى تبني سياسات وإقامة علاقات تحقق لهم وللآخرين " الأمن " .

وتحدث عن خصائص المجتمع المكي عند بعثة النبي ﷺ ، فذكر " الحالة الدينية " وتوسع في الكلام عن " الحالـــة

السياسية " مبيناً أن الجزيرة العربية عموماً ، ومكة بشكل خاص ، قد عرفت ألواناً من النظم العرفية الرامية إلى رعاية المصالح والمنافع ، ومقاومة الشر والمفاسد ، فذكر دار الندوة التي بناها قصي بن كلاب ، وأنه أرسى فيهـــا مبـــاديء الشورى الجماعية ، ففيها كان أمر قريش كله (الحرب ، والنكاح ، والمشورة فيما ينوبهم ..) . وتحدث عن دلالـــة ما تسميه بعض كتب السيرة " حلف الفضول " الذي تحالف فيه أصحاب نفوذ في قريش على نصرة المظلوم ، وهذا الاتفاق " التحالف " هو الذي قال فيه ﷺ : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت) .

وتناول النظام الاجتماعي الذي كان سائداً من خلال عرضه لكلام جعفر ابن أبي طالب عندما سأله النجاشي عن الرسالة والرسول ﷺ ، فقال : « أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية ؛ نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، يأكل القوي فينا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف: صدقه ، وأمانته ، وعفافه . فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحـــارم والـــدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة. « ...

وأكد الشيخ أحمد أبو لبن على أن وجود المسلمين في مجتمع غالبيته من غير المسلمين ، يفرض على أهل الإسلام إنقاذ أنفسهم من الموبقات الظاهرة والباطنة ، والسعي في تحقيق معاني الخير في المجتمع ، وهذا يفرض أن يكون المسلم إيجابياً وذا عقل سياسي : يدعم دائرة الخير في حياة الناس ، ويحاصر دائرة الشر ، وهذا من التأسي بأسوتنا الحقة ﷺ الذي نميز في تعامله مع المجتمع ومؤسساته أموراً أبرزها :

١) الدعوة إلى التوحيد (منبع الخيرات) وعدم المساومة فيه .

٢) إقرار المجتمع على ما هو عليه مما يوافق الشرع والفطرة .

٣) العمل الجاد على الارتقاء بالمسلمين في أوروبا ، واتخاذ الوسائل الممكنة لذلك .

٤) تحمل الأذى في علاقات التدافع ، والبعد عن الرد باستعمال القوة ، أو الخديعة .

٥) التعاون مع الأشخاص والهيئات والأحزاب في تقليص الشر والمظالم وتوسيع مجال الخير والمنافع .

٦) حسن توظيف القوانين والأعراف والاستفادة منها في تقوية الإيجابيات لدى المسلمين وغيرهـــم وفي مقاومـــة السلبيات .

٧) التحلي الصادق بأخلاق النبوة ، والتي يجمعها قول الله تبارك وتعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } [

الأنبياء : ١٠٧]

ﷺ ﷺ ﷺ

وسلط الأستاذ محمد العروسي – بلجيكا الأضواء على :

الأعمال السياسية المسموح بها شرعاً

فحدد ميادين العمل السياسي في أوروبا بـــ :

①التنظيمات السياسية : المتمثلة بالأحزاب الساعية إلى الحكم ، والنقابات المهنيـــة ، والمؤســـسات الدينيـــة ، والثقافية ، والخيرية ، والإنسانية الاهتمام .. إلخ . وبيَّن أن هذه التشكيلات تتعامل مع المواطنين ، ومـــع الـــشرائح المهاجرة ، وفق قانون المصلحة ، ويمكن القول بأن هذه المؤسسات تعارض الوجود الإسلامي الواعي ، وترفض التعبير " الشمولي " عن الفكرة الإسلامية ، وتظهر التسامح – غالباً – تجاه المظاهر الدينية التي تندرج تحـــت مفهـــوم " التدين " كما هو مقرر في الفكر الأوروبي المعاصر .

②المؤسسات الفكرية : وهي التي تضع أسس الفكر السياسي وتروج له ، وتتمركـــز في الجامعـــات ومراكـــز البحوث بصورة أساسية ، وتعبر عن أفكارها مستخدمة وسائل الإعلام المختلفة ، وتؤثر في القرار السياسي من خلال الدراسات التي تنشرها . وقد اهتم عدد من هذه المراكز البحثية بالمسلمين في أوروبا لأنهم أضحوا يشكلون ظـــاهرة اجتماعية ، وبالإسلام باعتباره مرجعية فكر وسلوك المسلمين .

وبعد ذلك سأل الأستاذ محمد : أين موقع المسلمين في العملية السياسية ؟ وأجاب : انخرط عدد مـــن المـــسلمين المهاجرين في بعض الأحزاب الأوروبية ، وكانت الدوافع :

(١) الاقتناع بالأسس الفكرية للحزب كالإشتراكية ،

(٢) التطلع إلى تحقيق مصالح شخصية .

ولم يبد العاملون للإسلام اهتماماً يذكر بالعمل السياسي ، ثم شعر التيار المتدين من المـــسلمين بأهميـــة وفوائـــد الاتصال بالمؤسسات المكونة للمجتمع : طلباً لحقوقٍ ودرءاً لمفاسد . وبدأ التواصـــل بـــين المؤســـسات الإســـلامية والحكومات والأحزاب ومؤسسات المجتمع الأوروبي ، بهدف تمثيل الجالية المسلمة وترتيب شؤونها القانونية ، وتـــدور

أحاديث وتثور نقاشات حول المشاركة في المجالس البلدية ، والمجالس التشريعية ، والانخراط في الأحزاب القائمـــة أو تأسيس أحزاب إسلامية .. إلخ .

وتطرق الأستاذ العروسي إلى الموقف الشرعي من العمل السياسي ؟ وبيَّن أنه ليس بـــصدد إصـــدار فتـــوى في الموضوع ، لأن القضايا ذات البعد السياسي متعددة ، وهي تتطور من مرحلة إلى أخرى ، وضرب مثلاً بالإقامـــة ، والجنسية ، والمواطنة ، وكيف تطورت النظرة الشرعية للأفراد والمؤسسات من خلال الزمن . وأبرز الأستاذ محمـــد موضوع « المشاركة في البرلمان » والجدل القائم حول جواز ذلك شرعاً ، إذ على البرلماني أن يقر بالولاء لمؤســـسات الدولة ، والالتزام بقراراتها ، وهل يتعارض هذا « الإعلان » مع البراء والولاء ، أم أن هذه « الشكلية » لا تؤثر على الأهداف السامية التي يوفرها دخول الساحة السياسية ، وهل يستطيع المواطن أو المقيم تجاوز قوانين البلاد وقـــرارات الدولة الملزمة ؟ . والملاحظات نفسها تقال بالنسبة لتشكيل الأحزاب أو الانخراط في القائم منها .

ويخلص الأستاذ العروسي إلى التأكيد على أن الوعي بفوائد المشاركة السياسية بمعناها الشامل والرامي إلى " درء المفاسد وجلب المصالح " يزداد يوماً بعد يوم ، وأن الحوار حول آلياته ومجالاته سيأخذ مداه يوماً ما ، وأن التسرع في الفتوى إباحةً وتحريماً ليس من أخلاق الدعاة ، لأن كثيراً من القضايا في حاجة إلى إعادة النظر في فقههـــا ، ســـواء كانت نصوص الشرع أم الواقع .

ﷺ ﷺ ﷺ

ناقش المشاركون في الندوة ما قدمه المتحدثون في مداخلاتهم ، وتركز الحوار حول مجموعة من المسائل الهامـــة ، ونوجزها في نقاط :

❶ ينبغي أن يكون المسلم إيجابياً في تعامله مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، سواء كان المجتمع مسلماً أم غير مسلم ، والإيجابية تعني : التمييز بين الحق والباطل ، والمنافع والمفاسد ، فيؤيد ويدعم الحق والخير ، ويرفض ويـــدفع الباطل والشر .

❷ وحتى يكون المسلمون إيجابيين .. فإن عليهم أن يبنوا جسور العلاقات الطبيعية مع محيطهم ، ولا يـــصح أن ينعزلوا عنه عزلة كاملة ، وعليهم أن يتفاعلوا مع آمال ، وآلام ، وهموم المجتمع الذي يعيشون فيه ، وهذا من العمـــل السياسي المشروع .

❸ولا يصح أن يكون موقف المسلم من غير المسلمين قائماً على الرفض المطلق ، أو القبول الكامل بما لديهم ، فما كان من نظم ، وعادات ، وآليات عمل تحقق الخير والعدل ، ولا تتعارض مع الإسلام ، فليس هناك ما يدعو إلى رفضها ، وتبقى دائرة فيها خلاف ، وهذا الخلاف يستدعي الحوار بقصد التوصل إلى صيغة لا تخدش هوية المسلمين ، ولا تظلم غيرهم .

❹ إن الصيغة السياسية للمجتمعات الأوروبية تعطي الأفراد والجماعات إمكانات المشاركة في صنع القرارات ، والتأثير على الترتيبات القانوية وغيرها ، فعلى المسلمين أن يتعرفوا إلى طبيعة المؤسسات ، وإلى آليات العمل الإيجابي في كل مجال ، وأن يحسنوا التصرف من أجل خيرهم وخير بقية مكونات المجتمعات الأوروبية .

وهذا يتطلب أن تنفر طائفة منهم للمشاركة في مؤسسات المجتمع .

❺ من حق غير المسلمين أن يلمسوا الوجوج الإسلامي الإيجابي ، وذلك من خلال النهوض الجاد بالواجبـــات المجتمعية ، والسعي البصير إلى المطالبة بالحقوق وفق منظومة أخلاقية كريمة .

❻ ولن تتم عملية التطور في الفكر السياسي للمسلمين من غير معاناة وحوار حادٍ وجادٍ بين المسلمين ؛ يتناول مقولاتهم ونظرتهم إلى المجتمعات الأوروبية ، ويسعى إلى تجديد الفهم للنصوص الشرعية وللواقع .

❼ وينبغي أن يستعد المسلمون لحوار شاق مع مؤسسات المجتمع الأوروبي ، بقصد توليد الرؤى المناسبة لصياغة حقوق المسلمين ، لأن الفكر الأوروبي لم يسبق له التعامل المباشر مع التعدد الديني الذي يفرضه الوجود الإسلامي في أوروبا .. فما كل أخذٍ وردٍ ينبع من حقد ورفض .. ويجب أن يكون في المسلمين أناس قادرين على حسن عـــرض الإسلام وحاجات المسلمين .